معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي

ترجمـات

قرار صعب، لكن لا مَفر منه
"إستخدام الأسلحة النووية يمكن أن ينقذ البشرية من كارثة عالمية"

د. فـؤاد ربايعـــة

باحث في معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي

قسم الدراسات الدولية

تحتَ هذا العنوان كَتبَ سيرجي ألكساندروفيتش كاراجانوف، في المجلة الرسمية "روسيا في السياسة العالمية" – مجلة اجتماعية وسياسية دولية، بتاريخ: 13-06-2023.

الملخص

من الضروري على الغرب استعادة الشعور المفقود بالحفاظ على الذات، واقتناعه بأن محاولات إرهاق روسيا من خلال تحريض الأوكرانيين ضدها، تأتي بنتائج عكسية على الغرب نفسه. سيتعين على روسيا إستعادة مصداقية الردع النووي، وذلك من خلال خفض العتبة العالية غير المقبولة لاستخدام الأسلحة النووية، والتحرك بحكمة ولكن بسرعة إلى أعلى سلم تصعيد الردع. وقد تم بالفعل اتخاذ الخطوات الأولى من خلال بدء نشر الأسلحة النووية وناقلاتها في بيلاروسيا، وزيادة القدرة القتالية لقوات الردع الاستراتيجي. يمكن للأمور أن تذهب إلى أبعد من ذلك، لذا يجب تحذير المواطنين المدنيين وجميع الأشخاص ذوي النوايا الحسنة، بشأن الحاجة إلى مغادرة أماكن إقامتهم بالقرب من المواقع التي يمكن أن تصبح أهدافاً للضربات النووية في البلدان التي تقدم دعماً مباشراً لنظام كييف. يجب أن يعلم العدو أننا مستعدون لتوجيه ضربة استباقية انتقامية لجميع اعتداءاته الحالية والسابقة لمنع الانزلاق إلى حرب نووية عالمية.

وفي النهاية، لا يتم محاكمة المنتصر، بل سيتم شكره لأنه منقذ ومخلص.

تهديد متزايد

يبدو لي أن بلدنا وقيادته أمام خيار صعب، فمن الواضح وبشكل متزايد أن الصدام مع الغرب لن ينتهي في حال فزنا بإنتصار جزئي أو حتى ساحق في أوكرانيا. إذا حررنا مناطق دونيتسك ولوهانسك وزابوروجي وخيرسون بالكامل، فسيكون هذا نصراً ضئيلاً. وسيكون النجاح أكبر قليلاً فيما إذا حررنا شرق وجنوب أوكرانيا الحالية في غضون عام أو عامين. لكن على الرغم من ذلك، سيبقى جزء منها مع السكان القوميين المتطرفين الذين يشعرون بالمرارة والحقد تجاهنا، وقد تم ضخ الأسلحة اليهم، ولهذا سيبقى هناك جرح نازف يهدد بمضاعفات حتمية، ألا وهي الحرب مرة أخرى. إذاً يمكن أن ينشأ وضع أسوأ تقريباً مما نحن عليه الآن، فعلى حساب التضحيات البطولية العظيمة، يمكننا أن نحرر أوكرانيا بأكملها، ولكننا سنبقى في حالة خراب وحراب مع سكان غالبيتهم يكرهوننا. سوف يستغرق الأمر أكثر من عقد "لإعادة تثقيفهم بشكل سليم".

إن أي من هذه الخيارات، لا سيما الخيار الأخير، سوف يبعد البوصلة عن روسيا بالتحول المطلوب بإلحاح لمركزها الروحي والاقتصادي والعسكري والسياسي إلى شرق أوراسيا. وسنكون عالقين في الاتجاه الغربي غير

الواعد. وستعتمد أراضي أوكرانيا الحالية، ولا سيما الوسطى والغربية منها، على مواردنا – الإدارية والبشرية والمالية. حيث كانت هذه المناطق مدعومة بشكل كبير في الحقبة السوفيتية أيضاً. إن العداء مع الغرب سوف يستمر، وسوف يدعم الغرب حرب عصابات أهلية بطيئة في أوكرانيا وروسيا.

إن الخيار الأكثر منطقاً وجاذبية هو تحرير وإعادة توحيد الشرق والجنوب هناك، وفرض الإستسلام على ما تبقى من أوكرانيا، مع تجريد كامل للسلاح، وإنشاء دولة صديقة ومستقلة ومعزولة عن الغرب. لكن مثل هذه النتيجة لا تتحقق الا فقط عندما نستطيع كسر إرادة الغرب في تحريضه ودعمه للمجلس العسكري النازي في كييف، فيجب إجباره على التراجع بشكل استراتيجي.

وهنا أتطرق إلى قضية هامة، لكنها لم تتم مناقشتها تقريباً، إن السبب العميق أو حتى الرئيسي للأزمة الأوكرانية، مثل العديد من النزاعات الأخرى في العالم، هو الزيادة العامة في التهديد العسكري، والفشل المتسارع للنخب الغربية الحاكمة الحديثة، التي خلقتها جولة العولمة في العقود الماضية. يرافق هذا الفشل تغير سريع غير مسبوق في ميزان القوى في العالم، لصالح الأغلبية العالمية، والتي قاطرتها الاقتصادية هي الصين، وجزئياً الهند، وأما روسيا فقد وضعها التاريخ كركيزة عسكرية إستراتيجية. إن هذا الإضعاف لا يثير حفيظة النخب الإمبريالية العالمية مثل (بايدن وشركاه) فحسب، بل إنه يخيف أيضاً النخب الإمبراطورية القومية مثل (ترامب). يفقد الغرب الآن القدرة التي كانت لديه على مدى خمسة قرون، بإمتصاص ثروة العالم بأسره، ويفرض بالقوة الغاشمة، أنظمته السياسية والاقتصادية وإرساء هيمنته الثقافية على العالم. إن هذا الانهيار في المواقف الأخلاقية والسياسية والاقتصادية كان يختمر منذ منتصف الستينيات.

لقد تم توحيد الغرب مؤقتاً، وحولت الولايات المتحدة أوكرانيا إلى قبضة العصا التي تحارب بها، من أجل استخدامها لتقييد أيدي روسيا– النواة العسكرية السياسية للعالم غير الغربي، المحررة من قيود الاستعمار الجديد. مما لا شك فيه أن الأمريكيون يرغبون بالطبع في تدمير بلدنا بكل بساطة، وبالتالي إضعاف القوة العظمى البديلة الصاعدة، ألا وهي الصين. فنحن إما أننا لم ندرك بعد حتمية الاصطدام، أو أننا مترددين بالضربة الاستباقية، لإنقاذ وإدخار القوة. وتماشياً مع الفكر العسكري والسياسي الغربي الحديث، فقد رفعت النخبة في موسكو بشكل غير حكيم عتبة استخدام الأسلحة النووية، وقاموا بتقييم الوضع في أوكرانيا بشكل غير دقيق، وشنوا عملية خاصة لم تنجح تماماً.

غارقة في الوحل، بدأت النخب الغربية تتغذى على الأعشاب السامة بنشاط، شقوا طريقهم على أساس سبعين عاماً من الرفاهية والشبع والسلام، إنها مجرد أيديولوجيات معادية لقيمة الإنسان: إنكار معنى الأسرة والوطن والتاريخ والحب ما بين الرجل والمرأة، إنكار الإيمان بالأخلاق، وكل ما يشكل جوهر الإنسان، وذلك خدمةً لأفكارهم المسمومة. والتخلص من أولئك الذين يعارضون. والهدف هو تحريف معنى الطابع البشري على الناس، من أجل الحد من قدرتهم على مقاومة الظلم المتزايد والضار للإنسان والإنسانية، والرأسمالية "العولمة" الحديثة.

الولايات المتحدة الضعيفة تمضي في طريقها للقضاء على أوروبا والدول الأخرى التي تعتمد عليها، خلال محاولتها للزج بها في أتون المواجهة بعد أوكرانيا. لقد فقدت النخب في معظم هذه الدول توجهها، وبسبب الذعر والفشل في مواقفها في الداخل والخارج، قادوا دولهم إلى الدمار. في الوقت نفسه، وبسبب فشلهم هذا، وشعورهم بالعجز، والرعب من فوبيا روسيا منذ قرون، وتدهور المستوى الفكري وفقدان الثقافة الاستراتيجية عندهم، فإن كراهيتهم لنا تكاد تكون أعنف مما هي عليه في الولايات المتحدة.

يشير ناقل التنمية في معظم البلدان الغربية بشكل لا لُبس فيه، إلى حركة عالية نحو فاشية جديدة، و(حتى الآن) هي شمولية "ليبرالية".

علاوة على ذلك، وهذا هو الشيء الأكثر أهمية، سوف يزداد الأمر سوءاً هناك. فالهدنات ممكنة، ولكن المصالحة التامه مستحيلة. إن هذا المتجه للحركة في الغرب بمثابة علامة لا لبس فيها على الانجراف نحو اندلاع الحرب العالمية الثالثة. لقد بدأت بالفعل، ويمكن أن تشتعل في حريق كامل، بسبب تزايد عدم الكفاءة واللامسؤولية من الدوائر الحاكمة في الغرب.

إن تفاقم الوضع بسبب "التطفل الاستراتيجي" طيلة 75 عاماً من السلام النسبي، نسي الناس أهوال الحرب، ولم يعد يخافوا حتى من الأسلحة النووية. ففي كل مكان، وخاصة في الغرب، ضعفت غريزة الحفاظ على الذات. لقد درست تاريخ الاستراتيجية النووية لسنوات عديدة، وتوصلت إلى نتيجة لا شك فيها مفادها، انه وفي الوقت الحالي تلاشى الخوف من استخدام الاسلحة النووية من قبل البشر. والآن يحدث ما لا يمكن تصوره من وجهة نظر الأفكار السابقة حول الردع النووي، فقد أطلقت الزمر الحاكمة لمجموعة من البلدان، في نوبة من غضبها

اليائس، حرباً واسعة النطاق في بقعة جغرافية تمتلك قوة نووية عظمى ومدمرة.

يجب استعادة الخوف من التصعيد النووي. وإلا فإن الإنسانية محكوم عليها بالفناء.

الآن وفي ساحات أوكرانيا، لن يتم فقط تحديد شأن روسيا وما ستكون عليه، وتحديد النظام العالمي المستقبلي، بل وأيضاً تحديد إمكانية الحفاظ على العالم المألوف لنا بشكل عام، أم أن الآثار المشعة ستبقى على هذا الكوكب، مما يؤدي إلى تسميم بقايا البشرية.

فمن خلال كسر إرادة الغرب وعدوانه، فإننا لن ننقذ أنفسنا فحسب، بل نحرر العالم أخيراً من نير الغرب الذي إستمر خمسة قرون، كما سننقذ البشرية جمعاء أيضاً. فمن خلال دفع الغرب إلى التوقف عن مساعيه، وتخلي نخبته عن الهيمنة، سنجبره على التراجع قبل حدوث كارثة عالمية. عندها ستحصل الإنسانية على فرصة جديدة للعيش والتطور.

الحل المقترح

على كل الأحوال هناك معركة صعبة تنتظرنا، فمن الضروري أيضاً حل المشكلات الداخلية، للتخلص أخيراً من الفكر الغربي المريض في العقول، وكذلك التخلص من تلك الزمرة الحاكمة من الغربيين، ومن الكومبرادور وفكرهم. إذاً فلنبدأ باستخدام القوة المتراكمة، فلنعش مع العقل لا مع العاطفة. إن روسيا هي حضارة الحضارات، مفتوحة على كل من الشمال والجنوب والغرب والشرق. والآن الاتجاه الرئيسي للتنمية هو الجنوب والشمال وقبل كل شيء الشرق.

إن المواجهة مع الغرب في أوكرانيا، مهما كانت نهايتها، يجب ألا تصرف انتباهنا عن النشاط الداخلي الاستراتيجي – الروحي والثقافي والاقتصادي والسياسي والعسكري السياسي، وخاصة في جبال الأورال وسيبيريا والمحيط العظيم. فنحن بحاجة إلى استراتيجية أورال–سيبيريا جديدة، والتي تتضمن العديد من مشاريع النهضة القوية، بما في ذلك إنشاء عاصمة ثالثة تقع في سيبيريا. يجب أن تصبح هذه الأفكار جزءاً من القرارات السياسية العاجلة، إنه "الحلم الروسي". تلك الصورة لروسيا وللعالم الذي يريد المرء أن يراها ويناضل من أجلها. لقد كتبت مرات عديدة، ولم أكن الوحيد، أن الدول العظيمة التي ليس لديها فكر عظيم تفنى وتنهدم، أو ببساطة تخرج الى عالم مجهول. فالتاريخ مليء بالظلام ومقابر القوى التي فقدته. يجب بناء هذا الفكر من الأعلى،

وليس الاعتماد كما يفعل الحمقى أو الكسالى، على حقيقة أنها ستأتي من الأسفل. يجب أن تلبي القيم والتطلعات العميقة للشعب، والأهم من ذلك أن تقودنا جميعاً إلى الأمام. ولكن صياغة فكرة هذا الحلم وتطبيقه واجب على النخبة وقيادة البلاد، وأن التأخير في طرحه غير مقبول.

ولكن ولكي يُصنع المستقبل، من الضروري التغلب على فكر قوى الغرب القديم. وإلا فستبدأ بالتأكيد حرب عالمية واسعة النطاق، وربما الحرب العالمية الأخيرة للبشرية.

وهنا أصل بكم إلى الجزء الأصعب من هذا المقال. يمكننا أن نقاتل لمدة عام أو عامين أو ثلاثة، وأن نضحي بآلاف وآلاف من أفضل رجالنا، ونسحق عشرات ومئات الآلاف من الناس الذين وقعوا في فخ تاريخي مأساوي لسكان هذا الإقليم الذي يسمى الآن أوكرانيا. لكن هذه العملية العسكرية لا يمكن أن تنتهي بانتصار حاسم دون فرض تراجع استراتيجي أو حتى استسلام من الغرب. يجب أن نجبر الغرب على التخلي عن محاولاته لإعادة التاريخ إلى الوراء، وعن محاولاته للسيطرة على العالم، وإجباره على الاعتناء بنفسه أولاً، وحل أزماته الحالية متعددة المستويات. وبشكل أكثر صراحة ووضوح، من الضروري أن "يسقط" الغرب ويُهزم، وأن لا يبقى عثرة في تقدم روسيا والعالم للأمام.

ولهذا من الضروري على الغرب استعادة الشعور المفقود بالحفاظ على الذات، واقتناعه بأن محاولات إرهاق روسيا من خلال تحريض الأوكرانيين ضدها، تأتي بنتائج عكسية على الغرب نفسه. سيتعين علينا إستعادة مصداقية الردع النووي، وذلك من خلال خفض العتبة العالية غير المقبولة لاستخدام الأسلحة النووية، والتحرك بحكمة ولكن بسرعة إلى أعلى سلم تصعيد الردع. وقد تم بالفعل اتخاذ الخطوات الأولى من خلال تصريحات الرئيس والقادة الآخرين ذات الصلة، وبدء نشر الأسلحة النووية وناقلاتها في بيلاروسيا، وزيادة القدرة القتالية لقوات الردع الاستراتيجي. إذاً هناك العديد من الخطوات الفعلية على هذا الصعيد. يمكن للأمور أن تذهب إلى أبعد من ذلك، لذا يجب تحذير المواطنين المدنيين وجميع الأشخاص ذوي النوايا الحسنة، بشأن الحاجة إلى مغادرة أماكن إقامتهم بالقرب من المواقع التي يمكن أن تصبح أهدافاً للضربات النووية في البلدان التي تقدم دعماً مباشراً لنظام كييف. يجب أن يعلم العدو أننا مستعدون لتوجيه ضربة استباقية انتقامية لجميع اعتداءاته الحالية والسابقة لمنع الانزلاق إلى حرب نووية عالمية.

لقد قلت وكتبت مرات عديدة، أنه إذا قمنا ببناء إستراتيجية قوية للردع واستخدمناها بشكل صحيح، يمكننا وقتها التقليل إلى الحد الأدنى من خطر الضربة النووية "الانتقامية"، أو من أي ضربة أخرى على أراضينا. فإذا جلس رجل مجنون في البيت الأبيض، إلى جانب كرهه لبلاده، وقتها ستقرر أمريكيا أن تهاجم "بشكل دفاعي" الأوروبيين، وبالتالي ستتعرض للرد. فالولايات المتحدة وأوروبا تدرك ذلك جيداً، وتفضلان ببساطة عدم التفكير فيه. ونحن من جهتنا ايضاً قد ساهمنا في عدم التفكير هذا بشعاراتنا المحبة للسلام.

بعد أن درست تاريخ الاستراتيجية النووية الأمريكية، علمت أن الاتحاد السوفياتي بعد أن اكتسب قدرة مقنعة للرد على ضربة نووية، لم تنظر واشنطن لهذا الامر بجدية، مع أنها خادعت علناً في إمكانية إستخدام الأسلحة النووية على الأراضي السوفيتية. فقد تم النظر في إمكانية استخدام الأسلحة النووية، فقط ضد القوات السوفيتية التي كانت متقدمة في أوروبا الغربية. وعلمت أن المستشارين كول وشميدت هربا من المخابئ بمجرد أن أثيرت مسألة هذا الاستخدام للاسلحة النووية أثناء التدريبات.

تحتاج إلى تسلق سلم احتواء التصعيد بسرعة كافية. بالنظر إلى توجه التنمية في الغرب، وتدهور معظم نخبها، فكل دعواتهم هي غير كفؤة ومظلمة أيديولوجياً أكثر من سابقاتها. وحتى الآن لا يمكننا أن نتوقع أن يتم استبدال هذه النخب بنخب أكثر مسؤولية وعقلانية. لن يحدث هذا إلا بعد التراجع والتخلي عن الطوحات. لا يجب تكرار "السيناريو الأوكراني". لم نستمع لمدة ربع قرن إلى أولئك الذين حذروا من أن توسع الناتو سيؤدي إلى الحرب، حاولنا التأجيل و"الاتفاق". وها هو ونتيجة لذلك، نشأ نزاع مسلح حاد. والآن أصبح منحى عدم القدرة على حل هذا الصراع هو بإتجاهه الى الأعلى.

لكن ماذا لو لم يتراجعوا؟ هل سيفقدوا تماماً إحساسهم بالحفاظ على الذات؟ وقتها ما علينا إلا ضرب مجموعة من الأهداف في عدد من تلك البلدان المعادية، كعملية إنعاش لأولئك الذين فقدوا عقولهم.

إنه خيار مخيف من الناحية الأخلاقية، "لكننا نستخدم فيه أسلحة الله"، ونحكم على أنفسنا بخسائر روحية فادحة من أجل الإنسانية. وإذا لم نقم بذلك، فلن تموت روسيا فقط، بل على الأرجح ستنتهي الحضارة الإنسانية بأكملها.

سيكون علينا إتخاذ هكذا خيار بأنفسنا. حتى الأصدقاء والمتعاطفون لن يدعمونا في البداية. فلو كنت أنا صينياً، فلن أرغب في نهاية سريعة وحاسمة لهذا لصراع، لأنه يؤخر القوة الأمريكية، ويسمح لنا بتجهيز القوات للمعركة الحاسمة والأخيره. كما أنني سأعارض إستخدام الأسلحة النووية، لأن تصاعد المواجهة إلى المستوى النووي يعني التحول إلى مستوى قتال لا تزال فيه بلدي (الصين) ضعيفة. بالإضافة إلى ذلك، لا يتماشى العمل الحاسم مع فلسفة السياسة الخارجية الصينية، التي تؤكد على العوامل الاقتصادية (مع تراكم القوة العسكرية) وتجنب المواجهة المباشرة. لو كنت مكانهم في الصين، لدعمت هذا الحليف، وأوفر له مؤازرة من الخلف، وسأختبئ خلف ظهره، ولا أتدخل في القتال. (ومع ذلك، ربما لا أفهم هذه الفلسفة بشكل كافٍ، وأعزو إلى الأصدقاء الصينيين دوافع غير معتادة بالنسبة لهم). إذا استخدمت روسيا الأسلحة النووية، فإن الصينيين سيدينونها. لكنهم سيبتهجون في داخلهم أيضاً، بتوجيه ضربة قوية لسمعة ومواقف عدوتهم الولايات المتحدة.

وماذا سيكون ردة فعلنا فيما إذا (لا سمح الله) باكستان هاجمت الهند بضربة نووية أو العكس؟ سننصدم ونندد. سوف نأسف لأن المحرمات النووية قد تم كسرها. ولكن بعد ذلك سنقوم بكل بساطة بمساعدة الضحايا، وسنقوم بالتغيير المناسب في عقيدتنا النووية.

بالنسبة للهند، والدول العظمى الأخرى، بما في ذلك الدول النووية الصغيرة مثل (باكستان وإسرائيل)، فإن إستخدام الأسلحة النووية بالكاد يكون مقبولاً فيها، سواء لأسباب أخلاقية أو لأسباب جيوستراتيجية. أعتقد إذا تم إستخدام هذه الأسلحة النووية ولكن "بنجاح"، فإن فكرة المحرمات النووية بعدم استخدام مثل هذه الأسلحة بأي حال من الأحوال، والإعتقاد بأن استخدامها هو طريق مباشر إلى هرمجدون النووية، سوف يتم التقليل من قيمة هذه الأفكار. من الخطأ الإعتماد وإنتظار الدعم السريع من قبل أحد، حتى لو شعر الكثير في جنوب العالم بالرضا عن هزيمة مضطهديهم السابقين، الذين سرقوا وإرتكبوا عمليات إبادة جماعية، وفرضوا عليهم ثقافتهم الغريبة.

وفي النهاية، لا يتم محاكمة المنتصر، بل سيتم شكره لأنه منقذ ومخلص. أما الثقافة السياسية الأوروبية ستتكر الجميل، ولن تتذكر فعل الخير معهم. على عكس بقية العالم، الذين يتذكرون بإمتنان كيف ساعدنا الصينيين على تحرير أنفسهم من الاحتلال الياباني الوحشي، والتخلص من نير الاستعمار. واتخذنا موقفاً خلف الصين. فإذا هي الآن ستقف وراء موقفنا، وتدعمه في قتالنا مع الولايات المتحدة. عندها يمكن أن ننتصر معاً لصالح

الجميع، بمن فيهم سكان الدول الغربية.

وبعد ذلك، ستسير روسيا والحلفاء مع الإنسانية رغم كل الأشواك والصعوبات، نحو مستقبل أراه مشرقاً – متعدد الأقطاب، متعدد الثقافات، متعدد الألوان، يمكّن البلدان والشعوب من بناء مصيرهم الخاص والمشترك.

المصدر: DOI: https://globalaffairs.ru/articles/tyazhkoe-no-neobhodimoe-reshenie